دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلد 25 العدد 01 السنة 2025 ص ص 64- 85
ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

مستقبل الجنس البشري في ظل الأبحاث الطبية المتطورة

- رؤية فلسفية -

The Future of humanity in light of advanced medical research

- Philosophical vision -

وهيبة عمراني
Biba.amrani10@gmail.com

تاريخ الاستلام: 15 / 10 / 2024 تاريخ القبول: 03 / 04 / 2025 تاريخ النشر 2025/06/03

Abstract:
This article aims to highlight the ethical problems that have emerged from the biotechnological revolution, especially in the medical field, which have raised a lot of philosophical controversy, which required the intervention of philosophers in order to clarify the nature of these problems. This is because the situations that philosophy is interested in analyzing are topics that are outside the scope of science. The scientist does not study ideas and values, so he does not have the ability to understand the philosophical and ethical aspects raised by such topics.

Keywords: Medicine ; Philosophy ; Ethics ;Values ; Human Future ; Posthumanism**.**

المؤلف المرسل: وهيبة عمراني
البريد الالكتروني: Biba.amrani10@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز المشاكل الأخلاقية التي أفرزتها الثورة التكنولوجية الحيوية خاصة في المجال الطبي والتي أثارت الكثير من الجدل الفلسفي مما تطلب تدخل الفلاسفة من أجل توضيح طبيعة هذه المشكلات، ذلك أن المواقف التي تهتم الفلسفة بتحليلها هي موضوعات تخرج عن نطاق العلم، فالعالِم لا يدرس الأفكار والقيم، لهذا لا يملك القدرة على إدراك الجوانب الفلسفية والأخلاقية التي تثيرها مثل هذه الموضوعات. نتيجة لذلك اهتم الكثير من الأطباء والعلماء بالنظرة الفلسفية تجاه الأبحاث الطبية، وذلك بعد أن شعروا حقا بالخطر الذي يهدد حياتنا، خاصة لما أصبح يُنظر إلى الإنسان على أنه مجرد ظاهرة طبيعية قابلة للدراسة كغيره من الظواهر. اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي الذي يهدف في النهاية إلى إظهار التكامل بين الطب والفلسفة.

الكلمات المفتاحية: الطب ؛ الفلسفة ؛ الأخلاق ؛ القيم ؛ مستقبل الإنسان ؛ ما بعد الإنسانية.

1. مقدمة:

مع نهاية القرن العشرين دخل العالم مرحلة جديدة أفرزتها "الثورة البيولوجية" بما حملته من تكنولوجيات حيوية خاصة في المجال الطبي مما أدى إلى طرح مشاكل أخلاقية تثير اليوم الكثير من الجدل الفلسفي جعلت الإنسان أمام معضلات يستعصى على العالِم حلها وحده، مما تطلب تضافر جهود كل من

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الفلاسفة، وعلماء الدين ورجال القانون والسياسة إضافة إلى العلماء والباحثين لطرح إشكالات مرتبطة بطبيعة الحياة والموت، واضطلاع الأطباء والعلماء بمسؤوليات وواجبات جديدة تجاه أبحاثهم وتجاه المصير المجهول للجنس البشري.

لقد أدرك المجتمع الإنساني الدور الايجابي الذي يمكن أن يلعبه الفيلسوف في حل أهم المشكلات التي تواجهه، وهي مشكلات لا تستطيع التكنولوجيا بكل تقنياتها أن تصل إلى حلها، ذلك أن المواقف التي تهتم الفلسفة بتحليلها هي موضوعات تخرج عن نطاق العلم بمعناه التجريبي الضيق، فالعالِم لا يهتم بدراسة الأفكار والقيم، ولذلك لا يملك القدرة على إدراك الجوانب الفلسفية والأخلاقية التي تثيرها مثل هذه الموضوعات. وبذلك نزلت الفلسفة إلى أرض الواقع، وأصبحت عنصرا ضروريا لبناء المجتمع. هذا ما أدى بالكثير من الأطباء إلى الاهتمام بالفلسفة بغية تحليل المواقف التي تواجههم في مجال عملهم، فهم يعلمون أن مهنة الطب ليست مجرد تشخيص وعلاج وإنما تتطلب أيضا اهتماما بالقيم الأخلاقية التي تهتم بإنسانية الإنسان وقدسيته وكرامته وكيانه الذي يجب الحفاظ عليه.

يتناول هذا المقال أهم الإفرازات التكنولوجية الطبية، خاصة الجانب المجهول الذي يكشف عن مخاوف من تحول العلم إلى سلطة وقوة تستعمل لأغراض لا هدف منها سوى إرضاء الغرور العلمي دون النظر في العواقب التي قد تؤدي بنا إلى مرحلة ما بعد البشري. لذلك ارتأيت من خلال ذلك معالجة الإشكالية التالية: ما هي انعكاسات التقنيات الطبية المتطورة على الإنسان ؟ هل هي في مستوى تطلعاته ؟ أم

أنها مجرد عبث بحياته ومستقبله؟ هل يمكن للمجتمع الإنساني أن يستغلها في بناء علم للمستقبل تحكمه القوانين والأخلاق، دون غلق أبواب الطموح العلمي؟

إن تحليلنا للإشكالية التي طرحناها يُلزمنا وضع الفرضيتين التاليتين:

الأولى تتجه صوب الجانب المشرق للتقنيات الطبية المتطورة التي تعلن يومياً عن الجديد في معالجة أمراض فتاكة في مقدمتها السرطان والأمراض الوراثية. مما جعل العالم ككل يدعمها ويتفاءل بالغد المشرق الذي ينتظر الإنسان حتى وإن أدى ذلك إلى تغيير الخصائص الطبيعية التي يتميز بها.

أما الفرضية الثانية فتتناول الجانب المجهول للطب وتطبيقاته الذي عمل على تغيير قيم المجتمع مما جعل الكثير يتخوفون من المستقبل ومصير الإنسانية وطالبو بوضع حد لهذه التجاوزات.

لاختبار هاتين الفرضيتين اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي والذي نهدف من خلاله إلى إظهار التكامل بين الطب والفلسفة وحاجة كل منهما للآخر فالطب يعتمد على الفلسفة في الكثير من قضاياه العالقة كما أن الفلسفة تستمد بعض مواضيعها من الطب الأمر الذي يجعلها أكثر ارتباطا بواقع الإنسان.

2. موقف الفلسفة من التقنيات الطبية:

ظلت الفلسفة لقرون عديدة تعنى بمحاولة الكشف عن حقائق العالم سواء تعلقت بظواهر الطبيعة أو الإنسان أو تعلقت بما هو كائن أو بما ينبغي أن يكون. ومع تراكم المعرفة واتساعها وظهور مناهج جديدة للبحث عن الحقائق بدأ البحث الذي يدور حول جانب معين من جوانب العالم يستقل بنفسه عن الفلسفة مكونا علما قائما بنفسه ليتفرع بعد ذلك كل علم إلى علوم فرعية أكثر تخصصا.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

إلا أن كل علم انسلخ عن الفلسفة قد ترك لها مجموعة من المسائل والقضايا التي لا يستطيع حلها مثل مفهوم العدد مفهوم الزمان ماذا حدث قبل الانفجار العظيم للكون، ماهي الحياة، كيف نشأت من جزئيات غير عضوية. وهي في مجملها قضايا تتوقع العلوم وجود إجابة عنها لكنها لا تملكها. وبناءا على ذلك فان الفلسفة تتناول من جهة تلك الأسئلة التي لا تستطيع العلوم الإجابة عنها، ومن جهة أخرى تبحث عن السبب وراء عدم استطاعة العلوم الإجابة عن تلك الأسئلة[1]. فإذا كان العلم لا يفكر في ذاته فإن الفلسفة هي التي تتكفل بذلك فتهتم بالعلم ومنهجه ومنطقه وخصائصه والشروط اللازمة لتقدمه، كما أنها تدرس العلاقة بين المعرفة العلمية وبين المتغيرات المعرفية الأخرى والعوامل الحضارية المختلفة.[(2)]ومن بين العلوم كلها يعدّ الطب أقربها إلى الفلسفة، حيث يستطيع الفيلسوف أن يلج منه إلى مشكلاتٍ أنطولوجية تترجمها المعاناة المرضية المعاشة، وإلى مشكلاتٍ أخلاقية تتعلق بالممارسة الطبية: قواعدها وحدودها، ثمّ إلى مشكلات اجتماعية ترتبط بالممارسات البيروقراطية للمؤسسات الطبية.[(3)]

لذلك فان الطب يتميز - كما يرى كانغيلهام- عن بقية العلوم، ذلك أنه يقع في مفترق طرق مباحث علمية متعددة مثل الفيزياء، الكيمياء والفيزيولوجيا، كما أنه

مدخل مناسب لطرح إشكالات الإنسان الأنطولوجية والفلسفية، وحتى الاجتماعية.[4]

على العموم يحتاج الطب إلى الفلسفة في قضيتين أساسيتين الأولى هي التباس بعض المفاهيم عليه مثل مفهوم الحياة، مفهوم الصحة والمرض، التمييز بين الموت والاحتضار وغيرها من المفاهيم. أما القضية الثانية فتتعلق بالمشكلات الأخلاقية التي أثارها تطور الطب من خلال تطبيقاته في الهندسة الوراثية والتحكم في الجينات، والإنجاب الصناعي[5].هذا ما أدى إلى ظهور مبحث فلسفي جديد سمي بالبيواتيقا Bioéthique يهتم بالقضايا الأخلاقية التي يفرزها التقدم الحاصل في ميدان الطب والبيولوجيا ، هادفا من ذلك إلى وضع إطار أخلاقي وقانوني ينظم الممارسات الطبية والأبحاث البيولوجية. ومن أهم الأسئلة البيوأخلاقية: هل يجوز للطبيب أن يصارح الميؤس من شفائه بحالته؟ هل بإمكان الطبيب اللجوء إلى الموت الرحيم؟ وإذا كان ذلك مباحا فهل يجوز قتل المتأخرين عقليا والذين يعانون من أمراض عصبية مزمنة؟ ألا نخشى أن تستبيح الدول الأمر فتسمح لنفسها بقتل الفئات غير المنتجة التي تقف عبئا أمامها، أم تقف قدسية الحياة حائلا دون أن نفعل ذلك؟[6].

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

يرى هانس يوناس، الذي طور فلسفة أخلاقية تنادي بقيام أخلاق مستقبلية تتحمل مسؤولياتها تجاه الحاضر وتجاه الأجيال المقبلة، أن التقنية أحدثت تحولات كبيرة في المجتمع جعلت الإنسان في موقف محرج لا يمكن الخروج منه إلا بتجديد أخلاقنا عن طريق إقامة ميثاق بيننا وبين الطبيعة، كما أقمنا ميثاق من قبل بيننا وبين المجتمع، ميثاق نتحمل فيه مسؤوليتنا كاملة إزاء وجود الطبيعة.[7]

أما فيما يخص التطبيقات المباشرة للتقنيات الطبية على البشر فإن يوناس لا يرفضها لكنه يتحفظ على تلك التي تتحدى القيم. فهو مثلا لا ينصح الأشخاص حاملي الأمراض الوراثية على الإنجاب ولكنه أيضا لا يقبل فكرة الإجهاض إلا في حالة الفحص الجيني ويقدم الأولوية لفائدة الطفل، أما عن تحسين النسل الإيجابي والاستنساخ فهما ممنوعان لأنهما يمسان مباشرة بماهية الإنسان، كما نبه إلى مخاطر الأبحاث والتجارب العلمية بشكل عام، والطبية البيولوجية بشكل خاص، ليس على حاضر الإنسانية فحسب بل وعلى مستقبلها أيضا.[8]

3. الطب الحديث يغير مفاهيم المجتمع:

أدت الثورات العلمية إلى تغيير منظومة القيم والمفاهيم السائدة في المجتمعات، ذلك أن التطور العلمي لا بد أن يواكبه تطور في نمط معيشة وتفكير المجتمعات التي تتطور بدورها مما يفتح المجال إلى ظهور قيم جديدة على حساب

اندثار قيم أخرى. صحيح أن بعض هذه التغيرات تحمل جوانب ايجابية ترتقي بالإنسان إلى ما هو أحسن، لكنها تحمل أيضا جانبا سلبيا أدى إلى استبدال المفاهيم القيمية التي تَعوّد الإنسان عليها بقيم جديدة قد لا يحبذها.

لقد أدرك العالم أن تطور العلوم الطبية لابد أن يحمل انعكاسات على القيم الاجتماعية ويثير مشاكل قانونية تتعلق بالحقوق، كما تؤثر بشكل مباشر في الأنظمة الأساسية في المجتمع كالأسرة والزواج والنسب.

1.2 تغيير مفهوم الأسرة:

الأسرة هي مؤسسة اجتماعية تتكون من منظومة بيولوجية اجتماعية، حيث تتمثل المنظومة البيولوجية في علاقات الزواج وعلاقات الدم التي تنشأ بين الوالدين والأبناء وسلالة الأجيال، أما المنظومة الاجتماعية فهي تلك العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تنشأ عن علاقات المصاهرة.[9]

لقد أطلق الفلاسفة على الأسرة اسم ممتص الصدمات العملاق فهي ليست مجرد تجمع للأفراد الذين يتقاسمون حيزا مكانيا ونفسيا إنما هي ذلك الكيان المتكامل الذي يلجأ إليه الأفراد في أوقات الشدة ليستريحوا ويتداووا من الصراعات والضغوطات اليومية التي يعيشونها في عالم مفعم بالتذبذب[10].

تمكن الطب الحديث بما يحمله من تقنيات متطورة في علاج الكثير من الأمراض خاصة في مجال الإخصاب الاصطناعي، لكنه أفرز مقابل ذلك جملة من

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

التساؤلات المليئة بالمخاوف، فما هو مصير الأسرة؟ ماذا سيحدث لمفهوم الأمومة والأبوة لو تمت ولادة طفل لأكثر من أبوين؟ مصير الطفل نفسه؟ ماذا سيكون موقفه عندما يعلم أنه ابن لثلاث أشخاص؟ أو أنه يعيش في عائلة ليست بعائلته البيولوجية؟

ترتبط العائلة المتكونة من الأب والأم والأطفال برابط الحب والثقة والوفاء وغيرها من القيم، فإذا ما دخل طرف ثالث في الموضوع فان هذه المفاهيم قد تتغير خاصة إذا كان الطرف الثالث هو المانح للسائل المنوي أو الرحم والذي يكون مجهولاً بالنسبة للطفل. هذا الوضع قد يؤدي إلى انعدام الثقة بين أفراد الأسرة وفقدان المحبة والترابط مما ينعكس سلبا على العلاقات بين أفراد المجتمع ككل.[11]

من جانب آخر أفرزت عمليات زراعة الرحم الكثير من الجدل، كما فتحت باب الأمل واسعا لدى المتحولين الجنسيين الراغبين في بناء أسرة والحصول على أولاد. تقول سيسيل أنجر المختصة في أمراض النساء بمستشفى كليفلاند أن العديد من المتحولات جنسيًّا ممن زرنها في عيادتها سألن عن عملية زراعة الرحم، إلا أن طلبهن يُقابَل بالرفض في الوقت الراهن نظرًا لعدم وجود بروتوكول للتعامل مع مثل هذه العروض.[12]

لقد أبدى بعض الأطباء الذين يتعاملون بشكل مباشر مع المرضى المتحولين جنسيًّا مخاوف تتعلق بالجوانب الأخلاقية التي تنطوي عليها تلك المخاطر بالخصوص تأثيرها المباشر على تهديم أسس الأسرة. يقول مارك ساور -أستاذ أمراض النساء والتوليد بجامعة كولومبيا-: إنه في ظل وجود خيارات أخرى تتضمن تأجير الأرحام والتبني في العديد من البلدان، فإن عملية جراحية تجريبية لمساعدة المرضى على الحمل والولادة -وليس لإنقاذ حياتهم- تبدو مخاطرة كبيرة.[13]

ومن جهة أخرى أسالت قضية بنوك المني وتجميد البويضات الكثير من الحبر حول أخلاقية إنجاب طفل من متبرع مجهول مما يسبب في اختلاط الأنساب، أو إنجاب طفل في حالة وفاة أحد الوالدين أو ربما كلاهما. لنفترض ولادة طفل حديث لأبوين ماتا منذ زمن.[14] فأين هي هذه الأسرة التي ستستقبل هذا الطفل اليتيم؟ هل يستطيع العيش كطفل عادي كباقي أقرانه الذين ولدوا في كنف عائلة متكونة من أب وأم وإخوة؟

يحمل بعض العلماء نظرة متشائمة بخصوص المستقبل المجهول للأسرة ويرون أنها اقتربت من نقطة التمزق والانقراض بفعل منجزات التغيير في نطاق تحسين النسل وهندسة الوراثة في حين يعتقد البعض الآخر أن منجزات التقنية الطبية لن تؤدي إلى تمزق الأسرة بل على العكس يعتقدون بأن الأسرة مقبلة على عصر ذهبي سيؤدي إلى إعطاء مفهوم جديد لها مخالفا للمفهوم التقليدي المعروف.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

عبر فرنسوا داغونيه عن رأيه في هذه القضية عندما رفض المفهوم البيولوجي للأسرة الذي يشترط وجود أبوين بيولوجيين، ففكرة الإخصاب بعد الموت في نظر داغونيه أمر مشروع إذا ما اتفق الزوجين على ذلك مسبقا، فرجل مصاب بالسرطان ويخضع لعلاج بالأشعة من حقه الاحتفاظ بمنيه، لتلجأ زوجته إليه بعد موته بهدف إنجاب مولود.(15)

صحيح أن الكثير من هذه الأفكار ليست واردة حاليا في مجتمعاتنا المسلمة والمحافظة إلا أن هذا لا يمنع من أن تتجسد في الواقع خلال السنوات القادمة خاصة وأن المجتمعات الغربية تجاوزت هذه المواضيع وبدأت تضفي معان جديدة على مفهوم الأسرة.

2.2 تغيير مفهوم حقوق الإنسان:

لقد عملت التطورات العلمية على تغيير المفاهيم المتعلقة بحقوق الإنسان، وصياغة حقوق جديدة لم تكن موجودة من قبل، فبالإضافة إلى الحقوق الأساسية تظهر للوجود حقوق جديدة كحق المثليين في الزواج بل وحتى الإنجاب، الحق في الحياة، الحق في الموت، الحق في الإجهاض، الحق في تقرير المصير، ومازال الباب مفتوحا لظهور حقوق أخرى في المستقبل كحق اختيار صفات الجنين وحق استنساخ الفرد لنفسه. لذلك طالب الفلاسفة ورجال الدين والقانون وضع قيود أخلاقية على الأبحاث الطبية واحترام قدسية الإنسان، ورغم أن البعض أيّد هذه

الأبحاث إلا أنهم رفضوا تجاوز الحدود في ذلك، مما أدى إلى ظهور قوانين دولية توقف كل التجاوزات التي تتم في هذا المجال، وقد أوصت الأمم المتحدة الدول باتخاذ تدابير تهدف إلى حماية المجتمع من سوء استخدام منجزات العلم والتكنولوجيا، لاسيما فيما يتعلق باحترام الحياة الخاصة وحماية شخصية الإنسان وسلامتها البدنية والعقلية[16].

كما أصدرت اليونسكو إعلان عالمي حول الجينوم البشري والحقوق الإنسانية عام 1997 وصادقت عليه 186 دولة عضو في اليونسكو، وكان من ابرز المواد المادة 11 التي تنص على أن الممارسات التي تتعارض مع الكرامة الإنسانية، مثل الاستنساخ البشري التكاثري، غير مسموح به لأنها تسيء للكرامة الإنسانية.

أما الاتحاد الأوروبي فقد نص في مادته الثالثة على ضمان حق الكمال الطبيعي والعقلي وذلك بمنع الممارسات التي تهدف إلى انتقاء الأشخاص، ومنع الاستنساخ الإنجابي للبشر.[17]

لقد اعترض جيمس واطسون مكتشف الحمض النووي على فكرة الحقوق وذلك بقوله « تذكرني المصطلحات مثل القداسة، بحقوق الحيوان، فمن منح الكلب حقا؟ لدينا حقوق المرأة، وحقوق الطفل، وتستمر القائمة إلى ما لانهاية، وبالتالي هناك حقوق السمندل، وحقوق الضفادع، لقد وصل الأمر إلى حد سخيف»[18].

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

يذكرنا هذا الموقف بتعليق فيلسوف النفعية " جيرمي بنتام"، بخصوص تأكيد الإعلان الفرنسي على أن حقوق الإنسان والمواطن طبيعية ولا تسقط بمرور الزمن، ولا يجوز انتزاعها أو انتهاكها، بقوله أنه مجرد هراء يمشي على طاولتين خشبيتين[19].

لقد أراد واطسون إقامة مقاربة نفعية عندما أراد الحديث عن المصالح دون الحقوق لكن ذلك يصطدم بمشكلة تعارض الحاجات مع المصالح، ولتوضيح ذلك نفترض أن هناك زعيم شعبي يحتاج إلى زراعة كبد، وهناك شخص فقير يقبع في المستشفى تحت أجهزة دعم الحياة ولكن كبده سليمة، إن اية حسابات نفعية بسيطة ستحكم بأن يتم إيقاف أجهزة الإنعاش عن ذلك الفقير دون رغبته لكي يتم منح الحياة للزعيم.[20] فمن يكفل في هذه الحالة حق ذلك المريض الفقير؟ بالطبع إذا ما بنيت التكنولوجيا الطبية على مفهوم الحاجة النفعية فإنها ستخضع بالتأكيد إلى الاستغلال.

حقيقة أثارت حقوق الإنسان المعاصر الكثير من الجدل مما زاد من صعوبة وضعها في إطار قانوني يكفل العدل والمساواة لكل الناس خاصة لما تتصادم الحقوق مع بعضها فمثلا الإجهاض الذي تعتبره المرأة حقا من حقوقها يتصادم مع حق

الجنين الذي في أحشائها في الحياة، فأي حق يكفله القانون؟ هل هو حق المرأة في الإجهاض؟ أم حق الجنين في الحياة؟

يرى رونالد ريغان وزملاؤه في كتابهم " الإجهاض وضمير الشعب " أن الإجهاض هو نوع من التمييز العنصري ضد الجنين الذي يُجرد من حقوقه لا لشيء إلا لنقص في وظائفه الجسدية والنفسية لعدم اكتمال نموه. وهذا أمر خاطئ لأن هناك أشخاص يعانون من نقص في وظائفهم يوازي النقص الذي عند الجنين فهل هذا يعني أن نسلبهم حقهم في الحياة؟[21]

تحدث الدكتور صالح عبد الرحمان العليان في كتابه الأطباء وفلسفة الموت عن بعض القصص التي كان شاهدا عليها في عمله كطبيب مختص في طب الأطفال حديثي الولادة بخصوص اتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بحق اختيار الحياة أو الموت، ومَن المخول لاتخاذ قرار مصيري كهذا. من بين هذه القصص، قصة مريضة في الثامنة والعشرين من عمرها تعاني من مرض خَلقي أصابها بشلل تام وجعلها تعتمد على أجهزة التنفس، كانت على علم بأنها لن تستطيع الاستغناء عن جهاز التنفس طيلة حياتها، لذلك قررت يوما ما إنهاء حياتها، وبعد موافقة الجميع فُصلت عنها أجهزة التنفس وتوفيت بعد ساعات. هذه القضية أثارت جدلا حول شرعية هذا القرار وهل يحق للأطباء تنفيذ رغبتها التي تعتبر أيضا حقا من حقوقها في اختيار الحياة أو الموت.[22]

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

كذلك يروي لنا قصة الرضيعة التي تعاني من انقطاع الحبل الشوكي الذي لا يُرجى شفاءه مما جعلها تعيش على أجهزة التنفس وستبقى كذلك بقية حياتها، وبعد الاطلاع على حالتها الطبية من قبل الأهل والأطباء، وبعد الحصول على فتوى شرعية، تَقرر فصل جهاز التنفس عن الرضيعة ذات الأربعة أشهر، لكن صادفتهم مشكلة من يفصل الجهاز، إذْ رفض الجميع ذلك خاصة وأن الطفلة كانت تتمتع بنمو ذهني طبيعي ليقوم الدكتور صالح عبد الرحمان في النهاية بفصل الجهاز عن الطفلة.[23]

كل هذه القصص وغيرها الكثير تفتح مجالا واسعا للنقاش وجعلت الناس يطالبون بالمزيد من الحقوق التي تعتبر في نظرهم شرعية كحق اختيار جنس المولود وصفاته، حق اختيار المتبرع بالمني أو الرحم، حق مثلي الجنس في بناء أسرة وإنجاب الأولاد وغيرها من الحقوق التي تعرف تطورا يواكب تطور العلوم.

4. التقنيات الطبية ومستقبل الإنسان:

إن استخدام التقنيات الحيوية بهدف تطوير أو تحسين الجنس البشري قد يؤدي إلى خاتمة غير سارة، خاصة إذا ما وقعت في يد سلطة تهدف إلى تدمير البشرية. يقول الدكتور فؤاد زكريا: لو أننا تخيلنا أن العلم قد اكتسب قدرات كهذه في ظل الأوضاع الاجتماعية والسياسية الحالية، فإن الاحتمالات قد تكون مخيفة، فمن الممكن أن تستغل الدول ذات الأنظمة العدوانية كشفا علميا كهذا لكي تزيد من قوة مواطنيها أو من قدراتهم على سحق خصومها بلا رحمة، ومن المؤكد أن مثل هذا

الكشف لو ترك لسياسيين من النوع الذي اتخذ قرار استخدام القنبلة الذرية في هيروشيما لاستغلوه أبشع استغلال[24].

1.4 التعديل الجيني :

تُصنَّف الكثير من الأمراض على أنها أمراضٌ جينيَّةٌ ناتجةٌ عن خللٍ في صبغيات DNA وبخلاف الأمراض الناتجة عن أسباب بيئية مكتسبة التي يسهل علاجها، نجد أن الأمراض الجينية لا تملك علاجا نوعيا أو حقيقيا لأنَّ إحداث تغييرٍ في المادة الوراثية هو أمرٌ بالغ التعقيد والصعوبة وأقرب إلى المهمة المستحيلة. لكن مع التطورات العلمية وظهور الهندسة الوراثية وتقنية كرسبر أصبح التعديل الجيني أمرا ممكنا إلى حد يثير الكثير من الشكوك والمخاوف.

ما يثير المخاوف اليوم هو التلاعب بالمادة الوراثية وذلك باستبعاد الجينات غير المرغوبة واستبدالها بتلك المرغوبة التي تحمل خصائص أفضل.

وبما أن التكنولوجيا سبرت أغوار الكائن البشري وعرفت خريطته الجينية أصبح من الممكن بل من السهل حسب بعض العلماء انتقاء مجتمع خال من الأمراض والمشوهين والمعوقين ذهنيا أو عضويا، حاثين على تحسين النسل، هذا التحسين الذي يحمل مخاوف ستؤدي إلى مأزق علمي لا نعرف إن كان يعود علينا بالنفع أم بالضرر،[25] فقد نجد أنفسنا يوما ما داخل سوق مركزي مكتوب عليه

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

سوق المورثات نختار منه المورثات التي نرغب أن تكون في أبنائنا، وسيصبح بإمكان المرأة أن تختار من هذا المركز علبة تحمل جنينا متجمدا معروضا للبيع، تحمل بيانات تشير إلى الصفات التي يحملها كلَوْنِ شعره وعينه وطوله وذكائه المتوقع ومواهبه، لتمضي إلى الطبيب ويزرع لها الجنين.[26]

انتقد العديد من العلماء ما قام به العالم الصيني جيانكو نهاية عام 2018، حيث قام بتعديل جيني لجنينين أصبحا اليوم رضيعتين توأمين باستخدام تقنية CRISPR/Cas9 لحذف الجين CCR5 المسؤول عن فيروس نقص المناعة المكتسبة، وصرح أن هناك حَملًا آخر في مراحله المبكرة يحتوي على أجنة أجرى عليها تعديلات على جيناته. [27]

لقد قرر المجتمع العلمي عام 2015 عندما ظهرت تقنية CRISPR أن لا يُستعمل التعديل الجيني إلا في علاج الأمراض الوراثية كفقر الدم المنجلي الذي يسبب معاناة كبيرة لدى المريض. لذلك فان ما قام به العالم الصيني يعد عملا لا أخلاقيا لما له من عواقب وخيمة قد تنعكس سلبا على صحة الطفلتين، كما أنها تفتح الباب أمام محاولات أخرى من هذا النوع. في حين أثنى البعض الآخر على هذا

الأمر واعتباره خطوة ايجابية نحو مستقبل واعد، لأنه أزال الحواجز التي تعيقنا من المضي قدما نحو تعديلات أخرى.[28]

2.4 ما بعد الإنسانية:

يقول فرانسيس فوكاياما، في كتابه مستقبلنا بعد البشري «إن أخطر تهديد قد تمثله التقنية الحيوية المعاصرة هو احتمالية تغيير الطبيعة البشرية، وبالتالي تنقلنا إلى مرحلة ما بعد البشري من التاريخ»[29].

منذ النصف الثاني من القرن العشرين، أصبح مفهوم «ما بعد الإنسانية» مفهوما رائجا يراود بعض التطلعيين حول العالم، وقد تأسست في ظل هذا المفهوم حركة فكرية علمية تطلق على نفسها اسم «ما بعد الإنسان» تدعم استخدام العلوم والتكنولوجيا بهدف تعزيز قدرات الإنسان الجسمانية والنفسية. حيث يؤمن معتنقوها بأنه من الممكن استخدام الهندسة الوراثية والتعديل الجيني لتطوير كائن بشري فائق التطور والذكاء، يقاوم الأمراض والشيخوخة والموت.[30]

المثير اليوم أن أصحاب ما بعد الإنسانية لم يعودوا مجرد تيار فكري ثقافي، بل تحالفوا مع رجال المال والأعمال، وتحولوا بذلك إلى تحدي سياسي، فبعدما كانوا مجموعة من الباحثين وكتاب السيناريو والروايات، صار لهم الآن رجال أعمال وعلماء. أبرز الأسماء هنا العالم البيولوجي ورجل الأعمال المتخصص في الجينات

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

والصبغيات كريغ فانتير الذي أنفق حوالي 400 مليون دولار في مجال البحث التجريبي الصبغي مبشرا باقتراب الوصول إلى الحياة المصنعة.[31]

تهدف ما بعد الإنسانية إلى نقلنا لمرحلة جديدة لا تكون فقط خالية من الأمراض والعيوب، وإنما تمكننا من اختراق الأشعة ما تحت الحمراء، واستبدال خلايانا العصبية، وإضافة حواس جديدة إلى حواسنا، والعيش قرنين من الزمان أو الوصول إلى الخلود. سيتحقق كل ذلك بفضل تكنولوجيا النانو نظرا للاتجاه الذي تتطور فيه أجهزة الكمبيوتر والتي تصبح باستمرار أصغر حجما وأكثر كفاءة، وسوف يحمل الناس مستقبلا ربوتات صغيرة في عروقهم لتنظيف وتوفير صيانة دائمة للدم والخلايا، هذه التكنولوجيا لا تحقق الخلود فقط بل ستمكننا من انجاز المهام التي استحالت علينا سابقا كالغوص في أعماق البحار لمدة أربع ساعات دون الحاجة إلى أكسوجين.

وردا على الذين يزعمون أن البشر لا ينبغي أن يحتفلوا بقرب الخلود لأن الحياة الخالدة ستجلب معها الملل واليأس، يقول العالم الأمريكي راي كورزوايل صاحب كتاب التفردية التقنية أن البشر مع تكنولوجيا النانو سوف يظلون قادرين على الموت طالما رغبوا بذلك، فالموت عن غير قصد سيكون غير محتمل، لكن مغادرة الحياة تبقى متاحة لمن أراد ذلك.[32]

فيما علق خوان انريكز، المدير المؤسس لمشروع علوم الحياة بمدرسة هارفارد للأعمال على هذه الانجازات العلمية يقوله أننا دخلنا بالفعل في زمن حيث نستطيع أن نقول وبدقة، "بدلًا من أن تختار الطبيعة ما يعيش هنا، أنا سوف أختار ما يعيش هنا".[33]

في الحقيقة لا نعلم إذا ما كانت هذه التطورات العلمية شرعية أم لا، فقد تكون من وجهة نظرنا وفي عصرنا غير أخلاقية لكن بمرور السنوات ومع الأجيال القادمة قد تكون ممارسات طبيعية أخلاقية.

5. النتائج:

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي:

. طرح التطور السريع للبيولوجيا الطبية مشاكل لها انعكاسات واضحة على الفكر الفلسفي والأخلاقي المعاصر، حيث وضع الإنسان أمام وضعيات محيرة واختيارات صعبة أصبحت تهدد باحتمال حدوث تغيرات جذرية في علاقة الإنسان بجسمه وهويته ومستقبله ومصيره.

. عملت التطورات الحيوية الطبية على تغيير الكثير من المفاهيم الاجتماعية التي كانت سائدة مثل مفهوم الأسرة الذي لم يعد يشترط وجود أب وأم بيولوجيين وبدلا من ذلك طرح مفهوم الأسرة متعددة الآباء والأمهات.

. مفهوم الحقوق تطور هو الآخر بتطور الطب، حيث لم يعد يقتصر على الحقوق الطبيعية للإنسان فظهرت حقوق جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

. يلعب الفيلسوف دورا هاما في حل أهم المشاكل التي تواجه المجتمع وهي مشكلات لا تستطيع التكنولوجيا بكل تطوراتها أن تحلها.

. أفسحت الثورة في مجال الطب الطريق لظهور تنبؤات أثارت حماسا لدى العلماء، وكذلك مخاوف فيما يعود لانعكاسات تطبيقها على الإنسان، واستخدامها اللامشروع واللاأخلاقي خاصة عندما يتعلق الأمر بالتعديل الجيني واستخدامها لغرض صنع إنسان خارق يحمل صفات جينية غريبة مما يهدد حياة البشرية وينقله إلى مرحلة ما بعد الإنسانية.

6. خاتمة:

يبدو من الوهلة الأولى أن التقدم الطبي الذي تسارعت وتيرته بداية القرن الحادي والعشرين لا يحمل إلا ما هو مفيد لحياة الإنسان، إلا أن الواقع يبين أن هذا التقدم غير مبادئ وقيم المجتمع.

على الأبحاث الطبية أن تتوقف على التعامل مع الإنسان كشيء يمكن التلاعب به، والتجريب عليه، وتغيير خصائصه البيولوجية دون أدنى مراعاة لخصائصه النفسية والاجتماعية، ودون احترام حريته وقدسيته. بل ودون الاهتمام بالمخاطر المترتبة عن تطبيق التكنولوجيا الطبية على الإنسان.

كلنا نتفق على أهمية الفضول العلمي والرغبة في المعرفة، فلولا ذلك لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من تطور في كل المجالات، خاصة المجال الطبي الذي ألغى العديد من الأمراض من القاموس الطبي وفتح أبواب الأمل لنا للعيش في ظروف

جيدة، كما أنه يعدنا بمستقبل زاهر خالٍ من الأمراض. لكن لا يجب أن تغرر بنا هذه المحاسن فنركض وراء العلم وجموحه فنجد أنفسنا في عالم لا إنساني.

7. قائمة المراجع:

1- ألكس روزنبرج وآخرون، **فلسفة البيولوجيا**، تر: مينا يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط:1، 2018، ص:17

2- يمنى طريف الخولي، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: 264، 2000، ص: 10

3- رشيد دحدوح، **تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغلهام**، أطروحة دكتوراه، اشراف، الزواوي بغورة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص:3

4- المصدر نفسه، ص:69

5- أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان: **في فلسفة الطب** ، ط:1، دار النهضة العربية، بيروت،1993ص:8

6- المصدر نفسه، ص:9

7- طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص:124.

8- عامر عبد زيد، **الخطاب البيوطيقي عند هانس جوناس**،(www.alhewar.org,5/4/2013)

9- مصطفى حجازي، **الأسرة وصحتها النفسية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1، 2015، ص: 15

10- سعيد الحفار، **البيولوجيا ومصير الانسان**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد38، 1984، ص: 98(

11- ناهدة البقصمي، **الهندسة الوراثية والأخلاق**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد:174، 1993،ص: 171

12- How a Transgender Woman could Get Pregnant,www.scientificamerican.com,2016

13- المصدر نفسه

14- عبد المحسن صالح، **من أسرار الحياة والكون**، مجلة العربي، 1987، ص53.

15- مجموعة من المؤلفين، **البيو اتيقا ومهمة الفلسفة**، دار الأمان، الرباط، ط:1، 2004 ص: 218

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

16- أحمد شرف الدين، **الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون**، مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الشريعة والقانون، 2002.، ص 406.
17- مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية، المصدر السابق، ص: 23
18- مستقبلنا بعد البشري، المصدر السابق، ص: 135.
19- المصدر نفسه، ص: 136.
20- المصدر نفسه، ص:139
21- صالح عبد الرحمان العليان، **الأطباء وفلسفة الموت**، جداول للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1، 2011، ص: 153
22- المصدر نفسه، ص: 130
23- المصدر نفسه، ص: 135،136
24- الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق ص204.
25- سمية بيدوح، **فلسفة الجسد**، دار التنوير، تونس، ص: 09.
26- البيولوجيا ومصيرالانسان، المصدر السابق، ص: 92
27- http://ibelieveinsci.com, 25.12.2018
28- http://ibelieveinsci.com, 25.12.2018
29- مستقبلنا بعد البشري، المرجع السابق، ص 18.
30- عبد العليم الحجار، **تعديل الجينات الوراثية... رحلة إلى «ما بعد الإنسان»... أَمْ انتكاسة إلى «ما قبل البشرية»**، أكتوبر http://www.alraimedia.com2017
31- **ما بعد الإنسانية..حرية التغييروالتبديل في النوع البشري**، يونيو http://www.alislah.ma2011 –
32- المصدر نفسه
33- How a Transgender Woman Could Get Pregnant, www.scientificamerican.com,2016